بيت صلاة

في التّقليد العريق للكنائس البيزنطيّة، الكاثوليكيّة منها والأرثوذكسيّة، يُعتبر البيت بمثابة كنيسة لأنه يُؤْوي جماعة من المؤمنين. وعندما يتّخذ المؤمنون بيتًا، يقوم الكاهن بتكريسه ، فيمسح جدرانه الأربعة بالزيت المقدّس ويوقد البخور وينضح المنزل بالماء المقدس. كما تُرَتَّل بعض المزامير ويُقرأ الإنجيل الذي يروي زيارة السيّد المسيح لبيت زكّا (لوقا ١٩: ١-١٠) وفي الختام يرتّل الكاهن "لسنين كثيرة" لأفراد العائلة.

وعندما ينتقل أفراد الأسرة إلى بيت جديد، فإنهم يختارون زاوية، تكون عادة إحدى زوايا الجدار الشّرقي في غرفة الجلوس، ليعرضوا فيها الإيقونات المقدسة. فيزيّنون تلك الزّاوية بإيقونات السيّد المسيح ووالدته السيّدة العذراء والصّليب المقدَّس وإيقونات القدّيسين شفعاء أعضاء الأسرة. وتَعرِض بعض العائلات الإيقونات التاريخيّة المتوارَثة أبًا عن جدّ في نطاق العائلة. كما يضعون في تلك الزاوية عادة طاولة صغيرة عليها صليب ومجمرة بخور والكتاب المقدّس وكتب الصلاة. ولما كانت الإيقونات ترمز إلى الحضور المقدّس للأشخاص الذين تمثّلهم، فإنهم يضعون أمامها قناديل تُضاء بالزيت. وغالبًا ما تُعلَّق فوق الباب الدّاخلي للمنزل إيقونة خاصّة للسيّدة العذراء تُدعى "حارسة الباب" لتحمي المنزل من كل أذى. ويلاحظ أن الدّاخلين إلى البيت غالبًا ما يتوجّهون إلى "زاوية الإيقونات" فينحنون أمامها ويكرّمونها بقبلة، وذلك قبل أن يحيّوا أصحاب البيت، تمامًا كما اعتادوا أن يفعلوا عند دخولهم الكنيسة.

الصّلاة تقام باتّجاه الشّرق

في التّقليد البيزنطي تقام جميع الصلوات، جَماعيّة كانت أم فرديّة، باتجاه المشرق. وذلك عملا بالآية الكريمة التي جاء فيها: "كما أنّ البرق الذي يحدث في المشرق يلمع حتى المغرب، كذلك يكون مجيء ابن الانسان." (متى ٢٤:٢٧). وعليه، عند الشّروع في بناء كنيسة، يتمّ توجيه الحنية المقابلة للهيكل نحو الشرق، باتّجاه شروق الشمس التي ترمز إلى السيّد المسيح، شمس العدل. لذا عند العبادة في الكنيسة، يقف الكاهن والشمّاس والشّعب ناظرين جهة الشّرق بانتظار الربّ الذي سيقودهم إلى أورشليم الجديدة، أرض الميعاد السّماويّة. كذلك يفعل المؤمنون الشّرقيّون، متّحدين مع إخوتهم وأخواتهم في العالم أجمع، فيصلّون واقفين باتّجاه المشرق. وعادة الوقوف في الصّلاة ترجع إلى العهد القديم، وحتّى إلى التّاريخ الوثنيّ السّحيق. فقد أمر الله شعبه أن يأكلوا الفصح " واقفين وأحقاؤكم مشدودة والعصيّ في أيديكم" (خروج ١٢:١١). كذلك كان الوثنيّون اليونانيّون يصلّون أمام أصنامهم واقفين. وكان المسيحيّون الأوّلون، يجارونهم في ذلك، و يبرّرون وقوفهم بقولهم إنّ الانسان هو الكائن الوحيد الذي يمشي منتصبًا وقد خُلق على صورة الله ومثاله. وبالتّالي عليه أن يصلّي واقفًا تأكيدًا لكرامته كابن لله. أمّا الركوع فكان دلالة للتوبة عن الخطايا. وعلاوة على ذلك، منعَت المجامع المسيحيّة الأولى الرّكوع يوم الأحد وأمرت المؤمنين بالوقوف شهادة لإيمانهم بقيامة الربّ. لذا لا يركع المؤمنون الشرقيّون عندما يصلّون في بيوتهم، خلافًا لما اعتاده إخوتهم المسيحيّون في الغرب.

الصلاة اليوميّة في المنزل

إنّ وجود الإيقونات والصّليب والبخور وغير ذلك من الأدوات المقدّسة التي ترمز إلى الحضور الإلهي في منازل المسيحيّن البيزنطيّين، يبرّر تسمية تلك المنازل بكنائس مصغّرة. ذلك كلّه يذكّرهم بقول القديس غريغوريوس اللاهوتي :"إنّ ذِكر الله أولى من التنفّس." عند النهوض من النّوم صباحًا، وقبل تناول الطعام وبعده، وعند المساء قبل الذّهاب إلى النّوم، نشعر أنّ زاوية الإيقونات تدعو العائلة كلّها إلى الصّلاة. زد على ذلك أنّ التّراث اللاهوتيّ البيزنطيّ ينطوي على كنز لا يثمَّن من الصّلوات لكلّ يو م وكلّ مناسبة وكلّ عيد وكلّ فصل من فصول السّنة. فعلاوة على صلاة السّاعات، هنالك مجموعة من الخدمات الدّينيّة المتنوّعة كالمدائح والبراكليسي، ورتبة الاستعداد لتناول القربان المقدّس، يمكن أن يتلوها المؤمن متى شاء. وقبل أن يغادر السيّد المسيح تلاميذه وعدهم بيوم عتيد يجتمعون فيه معًا:

" إني ذاهب لأعدّ لكم مكانًا، ثمّ آتي وآخذكم إليّ، لتكونوا حيث أكون أنا. " (يوحنا ١٤ : ٣). يتّضح من ذلك كلّه أن منزل المؤمن الشرقيّ يذكّر كلّ من يدخله بوعد السيّد المسيح وبالمنزل السّماويّ الجديد الذي ينتظرنا في السماء.

الصّوم والصّدقة والتقشّف

في الصّلاة نرتقي إلى عرش الله الذي مَنّ علينا بالوصول إليه. وبالصّلاة نحاول أن نجد منهج الحياة في السّماء

ونأتي به إلى الأرض لهدايتنا. وما الصّوم سوى إحدى هذه الوسائل. فبه نتحدّى طُرُق العالم التي نشاهدها حولنا، لا سيّما في حضارتنا التي تحثّ على المزيد من الاستهلاك. لذا، عندما ننبذ الطّعام ووسائل اللهو وسائر الملذات التي يرذلها الصّوم، إنّما نقول للعالم: "نحن لسنا من ههنا." فعندما نصوم نعترف بأن الحياة الحقيقية ليست في الملذّات الماديّة المخلوقة، بل في علاقتنا مع خالقنا.

أمّا الصّدقة فتتّصل اتّصالا وثيقًا بالصّوم، لأنّها هي أيضًا نُكران لمسلك العالم. فمجتمعنا يحثّنا على الاستهلاك قائلا: "إجمعوا لكم كنوزًا على الأرض." غير أننا نعلن مع القديس بولس أن الخيرات المادّية أعطيَت لنا ، ليس فقط لسدّ احتياجاتنا، بل أيضًا لنصنع بها الخير، ونقتدي بالسيّد لمسيح الذي أعلن أنّ مملكته ليست من هذا العالم، ونحبّ بعضنا بعضًا كما أحبّنا، أي بالبذل والعطاء واستعمال خيرات هذه الدّنيا على النّحو الذي يرضيه.

أخيرًا، صحيح انّ موطننا الحقيقي هو في الملكوت السّماوي، غير أننا لم نبلغه بعد. لذا نجد أنفسنا في خضمّ حرب يوميّة غير مرئيّة، وفيها "لا نحارب بشرًا، إنما نحارب قوى عالَم الظّلام الشريرة." (أفسس ٦ : ١٢). وفي صلواتنا اليوميّة لا نكفّ عن الابتهال إلى الله ليحمينا من قوى الشرّ. كما أننا نعلم أن في العالم الذي نعيش فيه عناصر لا يمكن أن تُرى على الصّعيد الماديّ. ولهذا السبب يجب كلَّ حين أن يكون في متناول إيدينا، نحن مواطني الملكوت السماويّ، وسائل اتّصال بذلك الملكوت. لذا نضع إيقونات في منازلنا كما في الكنيسة ونصلّي أمامها. ولذا نعيش ونحن على الأرض بموجب القيَم التي يدعونا إليها الملكوت السماويّ. ولذا نصوم ونستضيف الناس باسم الرب يسوع ونتعمّق في اختبار أبعاد وطننا الحقيقيّ. كما نحاول يوميًا أن نعيش في جوّ الملكوت، متذكّرين باستمرار أننا بالمعموديّة أصبحنا شركاء المسيح في وراثة الملكوت وسائر ما وعدنا به الآب السّماويّ.

أناشيد تقديس المنزل الجديد

نشيد أوّل (باللحن الثامن.):

أيها الربُّ الإله، لما دخلت بيت زَكّا، أدخلتَ معك الخلاص له ولذويه. نتوسّل إليك الآن أن يَدخل ملائكتك القديسون بيتنا مع كهنتك المكرّمين. امنح سلامك لهذا البيت وباركه بعظيم رحمتك و خلّص وأنِر نفوس جميع المزمعين أن يسكنوا فيه.

نشيد ثانٍ (باللحن الخامس):

أيها السيّد الرب إلهنا، بارك هذا البيت، واملأه بالخيرات الأرضيّة والسّماويّة، واحفظ من كل أذى جميع المزمعين أن يسكنوا فيه بتقوى . إمنحهم وفرة النِّعَم السماويّة والأرضيّة. وبما أنك رحيم أنظر إليهم بعظيم رحمتك

مقتبس جزئياً من مقال الأرشمندريت جيمس كينغ الذي كان قد نشر أصلاً في مجلة "نير إيست" الكاثولكية المجلد السابع العدد الثالث (خريف ١٩٨١)

أعيدت طباعتها بإذن الآباء

مقتبس أيضاً من إصدار الجزء لثاني"مرشد للكنيسة المحلية" (أبرشية نيوتن، مكتب الخدمات التّربوية، ٢٠١٢)

بيت صلاة

مكتب الخدمات التربوية
لأبرشيّة نيوتن الملكيّة
http://mekite.org/